مسألة المقارنة بين الروايات المدروسة والواقع، تلك التي أشرنا إليها في «التنظيم» مدخلاً أساسياً لدراسة جانب التأويل في عمل هذا الناقد.

وينبغي أن نتذكر هنا بأن المنطلق النظري الذي صدر عنه الناقد ـ سواء أخذنا بعين الاعتبار المدخل العام أو الخاتمة ـ هو منطلق تأويلي، فالإحتكام إلى الواقع، ضمن استخدام المنهج الاجتماعي بما في ذلك مفهوم الرؤية يقود بالضرورة إلى تحديد موقف الروايات المدروسة من الواقع. فهل سار الناقد في الاتجاه الطبيعي المرسوم للمنهج الاجتماعي الذي تبيّنا بعض معالمه سابقاً؟.

يَفْتَرِضُ مدخلُ الدراسة أن يسير التأويل أثناء الانتقال إلى جانب الممارسة النقدية في اتجاه تحديد أحد مواقف ثلاثة: (ص: 9).

ـ إما أن تعكس الرواياتُ نمط المثقفين المندمجين عضوياً في مشكلات المجتمع سعياً وراء حلها.

ـ وإما أن تعكس نمط المثقفين المنعزلين عن الواقع.

ـ وإما أن تعكس نمط المثقفين المستسلمين لتخلف الواقع.

وبما أن الناقد ينظر إلى الموقفين الأخيرين باعتبارهما موقفاً واحداً (ص: 9 فقرة 2)، فإن الروايات في هذه الحالة ستعكس إما موقفاً إيجابياً، وهو الأول، وإما موقفاً سلبياً، وهو الثاني والثالث على السواء.

والجدير بالذكر أن المدخل العام لا يوضح، بما فيه الكفاية ما يقصد به الناقد عندما يتحدث عن أن الرواية: تعرض لمشكلة العلاقة بين المثقف العربي ومجتمعه المتخلف (ص: 13 - 14)، فهل يتحدث عن محتوى الروايات العربية باعتباره لوحةً تماثِلُ ما يجري في الواقع، أم يتحدث عن رؤية الروائي من خلال تشكيل هذا المحتوى؟. ولقد تبين لنا عند الحديث عن «الأهداف» أن الناقد لم يحسم في هذه المسألة النظرية إلّا عندما انتقل إلى نهاية الكتاب، وبالتحديد عند الخاتمة إذْ بيّن أن أهم شيء هو البحث عن الإيديولوجية الحقيقة للعمل الروائي لأجل التوصل إلى ما تريد أن تقوله الرواية (ص: 109). ولهذا نُرجِّح أن المدخل العام لم يكن يعكس وعياً تاماً بهذه النقطة المهمة في عملية التأويل، وذلك لأن التحليل المباشر للنصوص بقي هو أيضاً في حدود معالجة محتوى الروايات لا الرؤية الإيديولوجية للعالم الروائي ككل.

ولتوضيح الفرق الجوهري بين الموقفين نذكر بأن محتوى الرواية يمكن أن يضم مواقف إيديولوجية متعددة، هي ما سماه الناقد في الخاتمة الشوائب الإيديولوجية (ص: 109). ولذلك فليس من حق الناقد أن يقارن بين شتات هذه الإيديولوجيا والواقع، لأنه في هذه